الإمام علي الهادي عليه السلام ومواجهته لسياسة الترغيب والترهيب العباسية

The Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Confrontation of the Abbasside Policy of Temptation and Intimidation

أ.د. محمد حسين علي جوة السويطي

الباحث عادل خلف شهواز حيدر

جامعة واسط

كلية التربية للعلوم الإنسانية

Prof. Dr. Mohammed Hussain Ali Jowah Al-Suweiti

Researcher: Adel Khalaf Shahwaz Haider

University of Wasit

College of Education for Human Sciences

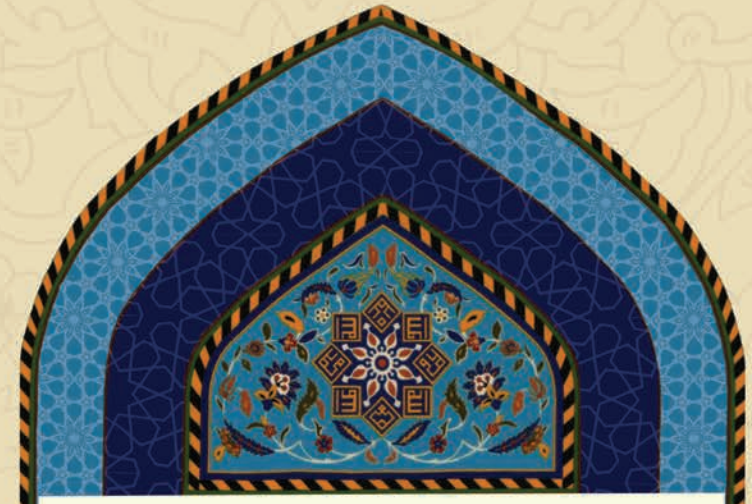

الإمام علي الهادي عليه السلام ومواجهته لسياسة الترغيب والترهيب العباسية

الملخص:

تبنى حكام بنو العباس لأجل كسب الرأي العام لصالحهم سياسة اعتمدت على الترغيب والترهيب؛ إذ كانوا يقدمون الإغراءات لكبار العلماء والفقهاء بهدف كسبهم، وإن اعترضوا اعتمدوا معهم التخويف، وهو ما جعل الكثير منهم يقفون إلى جانب دولة بني العباس ويفتون لصالح حكامها، إلّا أنّ للإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام موقفاً واضحاً وصريحاً من تلك السياسة، ميزته عن غيره من العلماء والفقهاء، إذ إنّه صمد عليه السلام بوجه هذه الأساليب على الرغم من شدة قسوتها وإغراءاتها، ومارس مهامه على أتمّ وجه، مسدّداً من الله تعالى والحكمة التي ورثها عن رسول الله وأهل بيته عليهم السلام، حتى استطاع أن يخلق طبقة واعية تمكن من خلالها تصحيح مسار المجتمع، وظل كذلك لحين استشهاده على يد المعتز العباسي بعد أن يئس من كسبه، وعلى إثر تخوفه من التفاف الناس حوله وتأثرهم بأفكاره النيّرة ومعتقده الحق.

الكلمات المفتاحية:

الإمام علي الهادي عليه السلام، سامراء، الترغيب والترهيب، المتوكل العباسي.

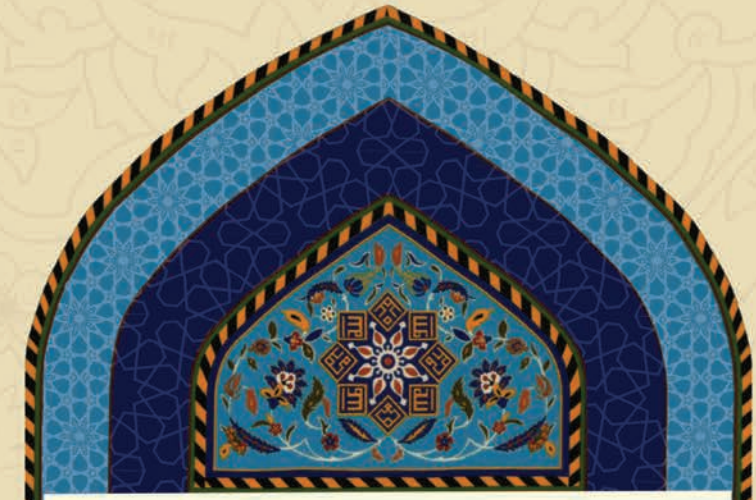

The Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Confrontation of the Abbasside Policy of Temptation and Intimidation

Abstract:

The Abbasside rulers adopted Policy of Temptation and Intimidation (the carrot-and-stick approach) to gain the public opinion. They offered inducements to gain the prominent jurists and scientists for their side. However, In case of objection, the Abbasside used intimation; what made many of scientists to be on their side and to issue advisory opinions for the benefit of the Abbasside authority.

However, The Imam Ali Bin Mohammed Al-Hadi (PBUH) took a clear and explicit stance against this policy what made him distinguished from all the other jurists and scientists. Though the severance and temptation, he resisted this policy. Furthermore, the Imam perfectly practiced his duties guided by almighty Allah and the wisdom he inherited from prophet and his family (PBUT) . This stance enabled the Imam to form a conscious class of people who could repositioning and redirecting the society. The Imam remained faithful for this stance until his martyrdom by the Abbasside ruler Al-Mu'aiz after being desperate to induce him and afraid of people to be gathered around him and effected by his enlightened thoughts and his right belief.

key words:

Imam Ali Al-Hadi (PBUT), Samarra, temptation and intimidation, The Abbasie Caliph Al-Mutawakkil.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

المقدمة

تبنى حكام بنو العباس بهدف تثبيت دولتهم وتمرير نظريتهم السياسية في الحكم وترسيخها في أذهان الرعية، أساليب سياسية متنوعة، كان أبرزها الترهيب والترغيب، بهدف كسب الرأي العام من خلال تقريب كبار العلماء والفقهاء ممن لهم مكانة خاصة وكبيرة لدى العامة، وقد اعتمدوا في أغلب الأحيان تقديم الأموال كوسيلة رابحة في كسب مودة هؤلاء، أما الذين لا تنفع معهم تلك الأساليب فكانت سياسة الخوف والوعيد بديلاً في التعامل معهم عن سياسة التقريب المالية، وبهذه الطريقة استطاع كثير من خلفاء بني العباس كسب ولاء عدد من العلماء والفقهاء ووجهاء المجتمع المعاصرين لهم وضمان تأييدهم وولائهم للسلطة العباسية.

لكن هذه السياسة لم تنفع مع الكثير من الفقهاء والعلماء، وعلى رأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذ كانوا يضعون مصلحة الرعية وقيم السماء أولاً، ومن ذلك موقف الإمام علي الهادي عليه السلام الواضح من تلك السياسة، إذ تميز عن علماء وفقهاء عصره في عدم الإذعان لتلك السياسة واستشعاره الدائم والواضح بمسؤوليته الدينية التي ورثها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وآبائه عليهم السلام.

فقد مارس مهامه عليه السلام وسط أجواء معقدة وموانع صعبة، ملتزماً بالمنهج الذي رسمه الله تعالى للمؤمنين، في عدد من السور القرآنية المباركة، كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾[1]، وقوله عزّ وجلّ ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً**﴾[2]، مما حتم عليه عليه السلام أن يواجه تحديات حكام زمانه وسياستهم، سالكاً طريق التصحيح نحو تأسيس جماعات صالحة قادرة على النهوض بالمجتمع الإسلامي، وتقويض أساليب السلطات الفاسدة، إذ أظهر في ذلك شجاعة وحكمة وإيمان وثبات على المبادئ الحقة، جعلت أعداءه من حكام بني العباس يتحينون الفرصة المناسبة للتخلص منه بشتى الطرق والوسائل حتى تمكنوا من ذلك في نهاية المطاف، لكن بعدما ترك أثراً واضحاً في قلوب الناس عامة وصفحات التاريخ الإسلامي.

---

(١) سورة الكهف، آية ٢٨.

(٢) سورة الإنسان، آية ٢٤.

مجلة تراث شمارة
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

لهذا كله ظهرت لدينا الرغبة في بيان هذه الجانب التاريخي المهم ودراسته بموضوعية، بصورة تُسهم في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، فجاءت محاولتنا هذه تحت عنوان: (**الإمام علي الهادي عليه السلام ومواجهته لسياسة الترغيب والترهيب العباسية**).

وقد اقتصرنا مدة البحث على فترة حكم المعتصم التي ابتدأت بسنة (٢١٨هـ) ولغاية نهاية حكم المتوكل سنة (٢٤٧هـ)؛ لكون أغلب الأحداث الجسام قد حصلت في هذه المدة، فضلاً عن رغبتنا بدراسة المدة المتبقية ولحين استشهاد الإمام عليه السلام بمحاولة بحثية أخرى مستقلة.

ختاماً نقول أن هذا الجهد البحثي محاولة جادة للكشف عن سياسة حكام بني العباس مع رعيتهم ولاسيما المعارضين منهم، وعلى رأسهم أئمة أهل البيت ومنهم الإمام علي الهادي عليهم السلام، نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضها، وإعطاء الموضوع قيمته العلمية التي يستحقها، ولا ندعي الكمال هنا، ونستعين بقوله تبارك وتعالى: ﴿**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾[١]، فهما آفة الإنسان اليوم، وإن أصبنا فذلك ما نرجوه، وهو فضل محض من الله عزّ وجلّ إنه على ما يشاء قدير وله الكمال وحده، وحسبنا إننا حاولنا، والله الموفق.

المحور الأول

نبذة من سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام وظروف عصره

اسمه علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولد في المدينة المنورة سنة (٢١٢هـ)، وكُني بـ(**أبو الحسن**)، وتلقب بألقاب كثيرة دلت على عمق إيماني وسمو أخلاقي وأمانة منقطعة النظير في تأدية الأمانة والرسالة، منها: (**المرتضى**)، و(**الهادي**)، و(**العسكري**)، و(**العالم**)، و(**الدليل**)، و(**الموضح**)، و(**الرشيد**)، و(**الشهيد**)، و(**الوفي**)، و(**النجيب**)، و(**التقي**)، و(**الخاص**)، وكان له خاتم نقشه: «**ما شاء الله لا قوه الا بالله استغفر الله**»[٢].

أمه أم ولد يقال لها (**السيدة**)، وكنيتها (**أم الفضل**)، ويقال لها (**سمانة المغربية**)، ولها أسماء أخر منها: (**سوسن**) و(**جمانة**)، وقد ورد بحقها أن محمد بن

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٢) الطبري، دلائل الإمامة، ص ٢١٣.

مجلة تراث السلام
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

الفرج بن ابراهيم بن عبد الله بن جعفر قال: «**دعاني أبو جعفر محمد بن علي بن موسى عليهما السلام فأعلمني أن قافلة قد قدمت، وفيها نخاس، معه جوار، ودفع إلي سبعين ديناراً، وأمرني بابتياع جارية وصفها لي، فمضيت وعملت بما أمرني به، فكانت تلك الجارية أم أبي الحسن عليه السلام**»[١].

وقال الإمام الهادي عليه السلام بحقها: «**أمي عارفة بحقي، وهي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا يناله كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة[٢] بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين**»[٣].

ويبدو أن الاختيار لتلك الزوجة وفق مواصفات أخلاقية وإنسانية انتخبها الإمام لكل من يكون بجواره ولاسيما تلك الزوجة الصالحة التي تسلحت بمبادئ هذا البيت وتأثرت ببيئته جعلها محط احترام وإيمان خالص جعلت ولدها الهادي يترك لنا وصفاً يبحر بها بمصاف الصديقات والصالحات من بيوتات الإيمان والرسالة المحمدية.

لقد كان من أولويات نشاط الإمام عليه السلام إثبات إمامته بالدليل والبرهان، ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام والتركيز على مبادئ الإسلام، ومحاولة بيان القيادة الحقيقية التي يجب أن تقود المسلمين إلى الطريق الرسالي المحمدي، لذا عمل على بناء قاعدة مؤمنة تأخذ على عاتقها الاستمرار بمنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام لإنقاذ الدين من الإنحراف والأمة من الضلال، عملاً بمسؤولية الإمامة الإلهية الحقة التي وكله الله تعالى بها.

وقد تميز عصره عليه السلام بظهور الأفكار الفلسفية والعقائدية المنحرفة عن أسس القرآن الكريم، وظهور الصراعات الفكريّة التي خصّت بعض الأمور العقائديّة بين المذاهب المختلفة التي أسهم العباسيّون بإثارة قسم منها لتأجيج الفتن بين المذاهب الإسلامية، كمسألة خلق القرآن الكريم التي ذهب ضحيتها عدد كبير من العلماء بين قتل وتعذيب، ابتداءً بعهد المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ) وانتهاءً بعهد المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧هـ).

---

(١) الطبري، دلائل الإمامة، ص٢١٢- ص٢١٣؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٧، ص٤١٩.

(٢) بمعنى محفوظة ومصانة.

(٣) الطبري، دلائل الإمامة، ص٢١٣؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٧، ص٤٢٠؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص١٢٠٣.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

استشهد عليه السلام على يد المعتز العباسي (٢٥٢- ٢٥٥هـ)، بعد أن لاقى الأمرين من قبل أسلافه، وقيل عن طريق دس السم له، كما فعل بغيره من الطالبيين[١].

وذُكر أن الناس اجتمعوا على جنازة الإمام عليه السلام في شارع أبي أحمد ـ وهو أكبر شوارع سامراء ـ وكثر ضجيجهم وبكاؤهم بعد أن تمت الصلاة عليه من قبل أحمد بن المتوكل ثم رد إلى داره ودفن فيها[٢]، وبذلك يرجح أن سبب قتل الإمام جاء بعد أن فشل المعتز هو الآخر في كسب الإمام لجانبه وتغيير قناعاته من دولته.

المحور الثاني

الإمام علي الهادي عليه السلام ومواجهته لسياسة المعتصم والواثق

جعل المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) نفسه مسؤولاً ومضايقاً على الإمام عليه السلام بمقتبل عمره، وتصرّف بأموره الشخصية مستخدماً بذلك قوة السلطان، وهو ما بينه (الغروي) بقوله: «**مع كل التكتم علم المعتصم بالمنصوص عليه بالإمامة بعد الجواد عليه السلام ابنه علي بن محمد الهادي عليه السلام، وأنه في أوائل عمر التعليم السابعة، فأوعز إلى عامله على المدينة عمر بن فرج الرّخجي[٣] ان يطلب بها رجلاً معلماً قارئاً أديباً لا يوالي أهل البيت، فيوكله بتعليم علي بن محمد عليه السلام ويتقدّم إليه بأن يمنع منه (الرافضة) الذين يقصدونه، فبعد موسم الحج أحضر عمر الرّخجي جماعة من المخالفين والمعاندين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل المدينة، وقال لهم: اطلبوا لي رجلاً من أهل القرآن والعلم والأدب لا يوالي أهل هذا البيت! لأضّم إليه هذا الغلام وأوكله بتعليمه، وأتقدّم إليه بأن يمنع منه (الرافضة) الذين يقصدونه! فسمّوا له أبا عبد الله الجُنيدي[٤] متقدماً عند أهل المدينة**

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨٤، ٩٥.

(٢) ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥٠٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨٤.

(٣) عمر بن فرج الرخجي، كان قريباً من المتوكل، لذلك ولاه مكة والمدينة، لكنه سرعان ما سخط عليه، فسجنه واستطفى أمواله، وبقي في بغداد إلى أن توفي في سنة (٢٣٧هـ). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١١١ وج١٢، ص٤٢٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٧، ص٢٨٤.

(٤) أبو عبد الله الجنيدي، عينه المعتصم معلماً للإمام علي الهادي عليه السلام لتوافق أفكاره مع أفكار السلطة العباسية، لكنه سرعان ما تأثر بفكر الإمام وصار من أصحابه والمدافعين عن المذهب.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

في الفهم والأدب وظاهر النصب والعداوة (لأهل البيت)، فأحضره عمر بن الفرج وعرّفه أن السلطان (المعتصم) أمره باختيار مثله وتوكيله بهذا الغلام، وتقدّم إليه بما أراد وعيّن له مشاهرة من مال السلطان»[١].

وبين هذا مستوى العداء الذي كان يكنّهُ المعتصم لأئمة أهل البيت عليهم السلام وسيطرته على أمور الإمام عليه السلام بعنوان الرعاية ظاهراً، ومحاولته تغيير فكره عليه السلام مستغلاً صباه ـ بحسب اعتقاده ـ ليتربى على مفاهيم بعيدة عن فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام في ما تعلق بالقرآن والسنّة الشريفة والأحكام الإلهية والمسائل الاعتقادية، ظناً منه أنه سينجح في مهمّته، متجاوزاً الحدود إلى درجة طلب بها مؤذّناً ناصباً العداء لأهل البيت عليهم السلام ليُبطل بذلك دين الله تعالى وإمامتهم من خلال الإمام عليه السلام نفسه.

ولأجل أن يحكم المعتصم خطته، منع تواصل الإمام عليه السلام مع أتباعه ومحبيه، ليقضي على الإمامة بحسب اعتقاده، لكن جهوده ذهبت سدى، وهو ما بينته رواية محمد بن جعيد، ونصها: «**لقيت ابن جنيد يوم جمعة فقلت له: ما حال هذا الغلام الهاشمي الذي تؤدبه؟! فأنكر علي، وقال: أنشدك الله هل تعلم بالمدينة أعلم مني؟ قلت: لا. قال: فأني والله... أذكر له الحزب من الأدب أظن أني قد بالغت فيه، فيُملي عليّ فيه باباً أستفيد منه، فوالله إنه خير أهل الأرض وأفضل من برأ الله. ثم قال: إنه مات أبوه بالعراق وهو صغير بالمدينة، ونشأ بين الجواري السود، فمن أين علمه هذا؟... ثم مرّت الأيام والليالي حتى لقيته فوجدته قد عرف الحقّ وقال به وبإمامته**»[٢].

كشفت الرواية عن نشاط علمي مميز للإمام عليه السلام وهو صغير السن، أبطل فيه مساعي المعتصم، وحولها لصالح إثبات إمامته إلى درجة جعل فيها المعلم الموكل بتأديبه يؤمن بإمامته الحقّة، وما لذلك من أثر في نشر فكره عليه السلام في أوساط المخالفين التابعين لهذا المؤدّب، وما صاحبه من زعزعة فكر المخالف وإبطال دعاواه.

قال إسماعيل بن مهران (تق٣هـ)[٣]:

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٨، ص٢٩٨.

(٢) الحمداني، أبو فراس، شرح الشافية، ص٢٥.

(٣) إسماعيل بن مهران بن محمد بن أبي نصر السكوني، مولى كوفي، يكنى بأبي يعقوب، ثقة، معتمد عليه روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ولقي الرضا عليه السلام وروى عنه. وصنف مصنفات كثيرة منها كتاب الملاحم. ينظر: الطوسي، الفهرست، ص٤٦.

مجلة تراث شمراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

«لمّا خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد... قلت له: جعلت فداك إني أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك... قال لي: ليس حيث ظننت في هذه السنة، فلما استدعي به إلى المعتصم صرت إليه فقلت له: جعلت فداك أنت خارج فإلى من الأمر بعدك؟ فبكى حتى خضب لحيته، ثم التفت الي فقال: عند هذه يُخاف عليّ، الأمر من بعدي إلى ابني علي، فإن أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن»(١).

أكد هذا أن الإمام الجواد عليه السلام كان ينطق عن الله تعالى بما علّمهم من علوم غيبية، وهو دليل على إمامته الحقّة عليه السلام، وأن تأكيده على إمامة الهادي عليه السلام ومن بعده الحسن العسكري عليه السلام من قبل أن يتزوج الإمام الهادي عليه السلام له دلالة على أن الإمامة إلهية ومنصوص عليها من الله تعالى، وهو يدخل ضمن سعي الإمام الجواد عليه السلام في إثبات إمامة الهادي والحسن عليهما السلام قبل ولادته بالدليل القاطع الذي لا يشوبه ريب، متضمناً ذلك علم الجواد عليه السلام بمحاولات المعتصم للقضاء على أصل الإمامة وشخوصها المتمثلة بهم، فضلاً عن علمه باستشهاده عليه السلام على يد المعتصم.

وأن قول إسماعيل بن مهران: **«أني أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك»**، به دلالة على سياسة الخوف التي استخدمها المعتصم ضد أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وأن الشيعة قد اعتادت على الكتمان الذي كان يعيشه الأئمة عليهم السلام وأتباعهم خوفاً من بني العباس مع تسالمهم على تسلسل الإمامة والوصية من الإمام السابق إلى الإمام اللاحق.

استمرت إمامة الإمام الهادي عليه السلام ما بين عام (٢٢٠-٢٥٤هـ) تحمل خلالها صعوبات كثيرة ومحناً عديدة من حكام عصره، إذ قتل المعتصم والده الإمام الجواد عليه السلام، وجعله في أحضان النواصب الذين يكنون العداء لآل محمد عليهم السلام، وما رافق ذلك من أجواء نفسية حادة ومؤلمة عاشها عليه السلام.

ولعل سبب عدم رده عليه السلام على بعض الفتن التي أوجدها العباسيون، كفتنة خلق القرآن الكريم، التي جعلوها سبباً لقتل بعض العلماء المخالفين لهم، كأحمد الخزاعي (ت٢٣٧هـ)(٢) لكي لا

(١) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص٢٤٤.

(٢) أحمد الخزاعي، اسمه أحمد بن نصر بن مالك

يتجرؤا على معارضة حكمهم، انه عليه السلام كان محجوراً عليه وممنوعاً من الاتصال بأتباعه وشيعته.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: لماذا لم يمتحْن حكام بني العباس الإمام عليه السلام بمسألة خلق القرآن الكريم كما امتحنوا غيره من علماء المسلمين؟؟

وجواب ذلك أن المعتصم والواثق (٢٢٧- ٢٣٢هـ) مارسا سياسة الترغيب والترهيب مع الإمام عليه السلام، وان تحولهما إلى أسلوب الترهيب الذي اعتمداه مع علماء آخرين سيثير العلويين عليهما ويفقدهما ثمرة سياستهما، فضلاً عن أن إظهار مذهب الإمام عليه السلام بمثابة اعترافهما به، وأنهما كانا يدركان أنه عليه السلام سيكون رأيه مدعوماً بالأدلة والبراهين القرآنية والنبوية بصورة تكشف عجزهم وتزيد الإمام عليه السلام ومذهبه علواً وانتشاراً.

لكن مع كل هذه الإجراءات المشددة من حكام بني العباس، استطاع عليه السلام التواصل مع بعض مقربيه، فكتب لهم في عهد الواثق: «**بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله واياكم من الفتنة، فأن يفعل فأعظِمْ بها نعمة، وإن لم يفعل فهي الهلكة**»[1].

وفي هذا تحذير لشيعته من الخوض في مسألة خلق القرآن الكريم التي هي فتنة مهلكة، معللاً ذلك بقوله عليه السلام: «**نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس (الخالق) الا الله وما سواه مخلوق**»[2].

إذ وصف عليه السلام في قوله هذا الخوض في مسألة خلق القرآن الكريم من باب القيام بمسؤولية الإمامة في توضيح الأحكام إلى الناس وبيان الحق من الباطل بأنها بدعة، اشترك بها السائل وهو الحاكم المتمثل بشخص الواثق وحاشيته من العلماء كابن أبي دؤاد (ت٢٤٠هـ)[3]، والطرف الآخر

(١) الصدوق، الأمالي، ص٦٣٩؛ النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج٢، ص٣٥٨.

(٢) الصدوق، الأمالي، ص ٤٨٩. ابن عبد البر، الاستذكار، ج٢، ص٥١٣؛ النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج٤، ص٢١١.

(٣) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الايادي أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، اتصل أوّلاً بالمأمون، فلمّا قرب موته أوصى به أخاه المعتصم، فجعله قاضي قضاته، وجعل يستشيره في أُمور

بن الهيثم بن عوف الخزاعي، وكنيته أبو عبد الله، وكان شيخاً جليلاً معروفاً بقول الحق، نشأ في بيت علم وفضل ورئاسة، وتلقى العلم على كبار العلماء. المطرفي، أحمد بن نصر الخزاعي، ص٥٨.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

وهو المجيب المتمثل بالعلماء الذين طرحوا آراءهم في هذه المسألة على وفق أدلة فلسفيّة واجتهادية أدّت إلى انقسام علماء المسلمين وتكفير بعضهم بعض.

وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: «**القرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين**»(١)، محذراً اتباعه وداعياً لهم بقوله: «**جعلنا الله واياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون**»(٢).

بمعنى أن الذين يخوضون في هذه المسألة لا يخشون الله في حقيقة أمرهم، بل جعلوا كتابه عزّ وجلّ خاضعاً لاجتهاداتهم بعيداً عن الكتاب والسنّة، بدليل عدم اتفاقها، وهو ما جعل الواثق يتراجع عن هذه المسألة بعد أن أدت إلى قتل عدد من العلماء وتفريق المسلمين واختلافهم.

ففي جلسة للواثق مع علماء بلاطه، قال أحد العلماء: «**أخبروني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه هل هو شيء علمه رسول الله فلم يدعو الناس إليه، أو هو شيء لم يعلمه**»(٣)، فأجابه ابن أبي دؤاد: «**بل علمه، فقال: أفكان يسعه أن لا يدع الناس إليه وانتم لا يسعكم؟ فبهتوا وضحك الواثق... ولم يمتحن بعدها أحد**»(٤).

وأكد هذا صدق وصف الإمام عليه السلام لمسألة خلق القرآن الكريم بأنها بدعة وضلالة لا تعدو كونها اجتهاداً شخصياً لا يستند إلى دليل من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، بدليل تراجع الواثق وعجز ابن أبي دؤاد عن الإجابة، والأغرب من ذلك هو ضحك الواثق بعد كل تلك المشاكل التي خلفتها هذه الفتنة.

ويبدو أن بطلان حجة الواثق في الفتنة التي أثارها لتحقيق مصلحة حكمه وما خلفته من آثار نفسية واجتماعية وعقائدية، دفعته إلى عدم التصادم مع العلويين، بهدف إزالة آثار الفتنة، حرصاً

الدولة كلها. ولما مات المعتصم اعتمد الواثق على رأيه، وفُلج ابن أبي دؤاد في أول زمن المتوكل سنة (٢٣٣هـ)، ثم توفي في السنة المذكورة. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٣١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٦٩.

(١) الصدوق، الأمالي، ص ٤٨٩؛ النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج٢، ص٣٥٨؛ ج٤، ص٢١١.

(٢) الصدوق، الأمالي، ص ٤٨٩؛ النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج٢، ص٣٥٨؛ ج٤، ص٢١١.

(٣) المقديشي، نزهة الأنظار، ص ٢٥٥.

(٤) ينظر: الكليني، الكافي، ج١، ص٢٦٠-ص٢٦١؛ الطبرسي، أعلام الورى، ص٣٧٥.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

منه على سلطانه؛ وهو ما بينه (الأصفهاني) بقوله: «**لا نعلم أحداً قتل في أيامه... وكان آل أبي طالب مجتمعين بسرّ من رأى في أيامه تدور الأرزاق عليهم حتى تفرقوا في أيام المتوكل**»[١]، و(ابن الأثير) بقوله: «**أحسن إلى الناس الشامل على العلويين، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم**»[٢].

المحور الثالث

الإمام علي الهادي عليه السلام ومواجهته لسياسة المتوكل

مع مجيء المتوكل العباسي للخلافة (٢٣٢-٢٤٧هـ) تبدلت الأمور، فتقرب من إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) وتبنى مذهبه، وتشدد باستخدام المال والخوف مع علماء المسلمين، ودعاهم إلى سرَّ من رأى، بهدف نصرة مذهبه والتخلص من مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام[٣]، ونهى عن الجدل في مسألة خلق القرآن الكريم[٤].

وجعل نفسه سيفاً مسلطاً على رقاب العلويين، وهو ما أكده (الأصفهاني) بقوله: «**كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتماً بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم**»[٥]، مشيراً إلى دور الفتح بن خاقان (ت٢٤٧هـ)[٦] في تأليبه ضدهم، بقوله: «**اتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم مالم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله**»[٧].

وأكد هذا أن المتوكل قد بلغ ما لم يبلغه أسلافه من حكام بني العباس عداءً وبغضاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام، إلى درجة انه «**استعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخّجي، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمساءلة الناس، ومنع الناس من**

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١١.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٤٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٤١.

(٥) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٧٨.

(٦) اسمه الفتح بن أحمد بن غرطوج، من أصول فارسية، وكنيته (أبو محمد)، تربى في دار المعتصم واختص بولده المتوكل، لذلك لما أسندت الأمور للمتوكل جعله وزيراً ونائباً عنه في إدارة شؤون مصر وأفريقية، وصار من أقرب الناس للمتوكل، وظل ملازماً له حتى قتل مع المتوكل. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٨، ص٢٢٢-ص٢٢٨.

(٧) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٧٨.

البرّ بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبرّ أحداً منهم بشيء ـ وإن قلّ ـ إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غرماً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسنَ على مغازلهن عواري حواسر»[١].

وبهذا يتضح أن المتوكل وبفعل رغبته بالسلطة كان مصراً على محاربة الإمام الهادي عليه السلام وذرية أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من خلال محاولته إزالة قدسيّة الأئمة وذريتهم التي فرضها القرآن الكريم على المسلمين بقوله تعالى: **«قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»**[٢].

حتى إنه أراد أن يقضي على رمزية المذهب، وهو قبر الإمام الحسين عليه السلام، إذ **«كرب قبر الحسين وعفّى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة»**[٣].

وبين (الأصفهاني) أنه عزم على ذلك لإدراكه أثر هذا القبر الطاهر في قلوب الناس كافة، ومنهم العاملون في بلاطه، بقوله: «**كان السبب في كرب قبر الحسين أن بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها إليه قبل الخلافة يغنين له إذا شرب، فلما وليها بعث إلى تلك المغنيّة فعرف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين، وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع، وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: خرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان، فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ قالت: إلى قبر الحسين. فاستطار غضباً، وأمر بمولاتها فحبست، واستصفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه... إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره**»[٤].

متجاوزاً بذلك الشرع الإسلامي الذي أكد على قدسية ومنزلة الإمام الحسين عليه السلام وثواب زيارة قبره، لأنه مشعل ينير طريق السالكين نحو طاعة الله تعالى، ورفض الظلم والطغيان، فقد جاء في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله: «**حسين مني وأنا منه، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط**»[٥]، و«**من**

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٩.

(٢) سورة الشورى، آية ٢٣.

(٣) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٧٨؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢١٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٩.

(٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٧٨.

(٥) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة،

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»[١].

وفي رواية أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**مَرّ... بكربلاء عند مسيره إلى صفين... فوقف، وسأل عن اسم هذه الأرض، فقيل له: كربلاء، فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه، ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فقلت ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبريل آنفاً، وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء، ثم قَبَضَ جبريل قبضة من تراب شمَّمني أيّاه فلم أملك عينيَّ أن فاضتا**»[٢].

وفي الوقت الذي حاول جاهداً إزالة قدسيّة آل الرسول من قلوب المسلمين، تشدد في تعامله مع الإمام الهادي عليه السلام، فأمر باستقدامه من المدينة إلى سامراء، متظاهراً بإجلاله وتقريبه، في الوقت الذي أنزل فيه ظلمه لآل أبي طالب وأتباعهم، ليغرس في قلوبهم الشك بالإمام عليه السلام، تمهيداً لإزالة قدسيته بحسب وجهة نظره.

وعند استقدام الإمام عليه السلام إلى سامراء تعامل معه المتوكل بإرهاب وتخويف، مرسلاً رجاله لتفتيش داره، متهماً له بالحراك ضد دولته والدعوة لنفسه بالخلافة، وهو ما بينه يحيى بن هرثمة بقوله: «**دخلت المدينة فضج أهلها ضجيجاً عظيماً، ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً اليهم، وملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل للدنيا فجعلت أسكتهم، وأحلف لهم أني لم أأمر فيه بمكروه، وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف وأدعية وكتب علم، فعظم في عيني**»[٣].

لكنه سرعان ما غير أسلوبه؛ لصمود الإمام عليه السلام وشجاعته، وكشفه لمخططاته، وتمثل ذلك برسالة خطية بعثها له حاجبه جاء فيها: «**إن أمير المؤمنين عارف بقدرك، راع لقرابتك، موجب لحقك مؤثر من الأمور فيك، وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك وحالهم، ويثبت به عزّك وعزّهم؛ ويدخل الأمن عليك وعليهم**»[٤]، بعدها تظاهر المتوكل انه أمر ولاته على المدينة

ص٥٢٧.

(١) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص٥٢٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢٩.

(٣) المفيد، الإرشاد، ص٢٣١؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ج١،ص٢٤٥.

(٤) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٣.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

بإكرامه وتبجيله والأخذ بأمره ورأيه، وقد زاد على ذلك بأن رسل الاشتياق وصلت إلى قلبه وأصبح يتوق إلى رؤية الإمام طالباً منه القدوم لزيارته والمقام عنده ومن معه من أهل بيته ومواليه والعيش بالقرب منه بطمأنينة وسلام[١].

وهذا تأكيد جديد على أسلوب المتوكل المخادع، الذي سعى من خلاله إلى زرع الشكوك في قلوب أتباع الإمام عليه السلام، بسبب التغيير المفاجئ من الترهيب إلى التبجيل المصطنع، وتأكيدها بمعاقبة المسؤول عن ترهيب الإمام وعزله، من خلال تصورهم خضوع الإمام للمتوكل ومسالمته.

ولزيادة الضغط على الإمام عليه السلام، خصص له سكناً في خان الصعاليك[٢]، وأمر بعدم لقائه مع قادة الجند وأصحاب المقامات؛ خوفاً من تأثرهم فيه[٣]، لاسيما بعد أن وصلت له أنباء بخصوص ذلك، إذ كشف يحيى بن هرثمة المسؤول عن استقدام الإمام ومراقبته للناس أنه رأى:

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٣.

(٢) خان الصعاليك هو موضع قبيح في مدينة سامراء.

(٣) الطبرسي، أعلام الورى، ص٣٤٨.

«**من دلائل أبي الحسن عليه السلام الأعاجيب**»[٤]، ومنها «**أن في بعض المنازل امرأة معها ابن لها أرمد العين ولم تزل تستدل وتقول معكم رجل علوي دلوني عليه حتى يرقى عين ابني هذا، فدللناها عليه، ففتح عين الصبي... فوضع يده عليها لحظة يحرك شفتيه ثم نحاها فإذا عين الغلام مفتوحة صحيحة ما بها علة**»[٥].

بمعنى ان الناس من خاصة وعامة كانوا متأثرين بالإمام عليه السلام ومتعاطفين مع شخصه، عارفين بحقه، متفهمين لمقاصد السلطة ومحاولتها تحجيم دور الإمام الهادي وعزله عن قواعده الشعبية، بحيث قال والي بغداد اسحق الطاهري (ت ق٣ هـ)[٦]: «**يا يحيى أن هذا الرجل**

(٤) المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٩؛ النجفي، مؤسسة الإمام الهادي، ص٢٧٨.

(٦) إسحق بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق بن أسعد الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين ذي اليمينين ولي حلب والعواصم بأسرها والثغور استعمله المأمون عليها وعزل ابنه العباس بن المأمون عنها في سنة أربع عشرة ومائتين، وقد روي عنه إنشاد من الشعر، كان أميراً عاقلاً متميزاً مذكوراً وجيهاً كريم الأخلاق وعظم أمره عند المتوكل حتى جعل إليه أمر القضاء. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج٣، ص١٤٠٩.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

قد ولده رسول الله، والمتوكل من تعلم، وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وآله خصمك»[١]، وما أن وصل واستقر حتى دخل عليه صالح بن سعيد[٢]، وكان من عامة الناس، قائلاً له: «**جعلت فداك، في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك... فأومأ عليه السلام بيده فإذا بروضات أنفات وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، وقال: حيث كنا كان هذا لنا**»[٣].

ويبدو أن مكانة الإمام الهادي عليه السلام وقوة شخصيته الدينية والاجتماعية جعلت السلطة العباسية تأخذ جانب الحيطة والحذر منه، فأخذت تراقب حراكه بصورة مستمرة، وصار المتوكل العباسي يرسل جنوده بصورة مستمرة لتفتيش داره تحت ذرائع مختلفة، في مقدمتها تأليب الناس ضد سلطانه، حتى أرسل جنوده ذات مرة وهم مدججين بأنواع الأسلحة لتفتيش داره ليلاً، فعادوا إليه منذهلين بما شاهدوه، قائلين له: «**لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن، مستقبل القبلة**»[٤].

واستمر المتوكل بمضايقته للإمام، فبعث باستقدامه ذات مرة، فلما وصل عليه السلام ورآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وكان بيده كأس شراب، فقدمه له، لكن الإمام رفضه، وقال عليه السلام: «**والله ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه. فأعفاه**»[٥].

ونلحظ هنا أن المتوكل استخدم كل أساليب التخويف، ثم التقريب والتعظيم بإجلاسه إلى جنبه، ثم الاستهانة والتقليل من شخصه من خلال تقديم الكأس له ومطالبته بشرب الخمر.

وبعد أن يأس من إيقاعه وكسبه بما مرّ ذكره من أساليب وسياسات، تحول إلى الشعر الذي كان صفة غالبة على الغناء في وقته، محاولاً النيل منه عليه السلام واستدراجه لطاعته، إذ قال له: **أنشدني شعراً، فقال عليه السلام: أني قليل الرواية للشعر، فقال له: لا بد من ذلك، فأنشده عليه السلام هذه الأبيات**[٦]

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٠٨.

(٢) صالح بن سعيد الأحول كان من أصحاب الكاظم عليه السلام. الحلي، خلاصة الأقوال، ص٣٥٨.

(٣) الراوندي، الخرائج والجرائح، ص ٦٨٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١١.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص١١؛ الذهبي، تاريخ

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القللُ
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم
وأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم
أين الأساور والتيجان والحللُ
أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الأستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طالما أكلوا دهراً وقد شربوا
وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

وبهذه الأبيات حاول الإمام عليه السلام إرجاع المتوكل إلى استذكار مصائر الماضين من الملوك والحكام، مذكراً إياه بأنه مهما امتلك من مقومات السلطة الدنيوية فإنّ نهايته إلى التراب، بحيث يصبح بدنه موضعاً لاقتتال الدود عليه، ولا ينفعه ملكه ولا سلطانه، ويصبح الأضعف من بين مخلوقات الله تعالى، كاشفاً بذلك القدرة الإلهية التي تتحكم بمصير الخلق وتعطي كل ذي حق حقه.

الإسلام، ج١٨، ص١٩٩.

بهذا الأسلوب العقلاني استطاع الإمام التأثير بالمتوكل ولو لزمن معين جعله يبكي على نفسه، متأثراً بشعره، وأمر له بأربعة آلاف دينار ورده مكرماً، فرفض الإمام الأموال وانسحب بهدوء من بلاطه، ونرجح أن في بعض ذلك تمثيلاً وتصنعاً، ومحاولة جديدة لكسب ود الإمام وامتصاص غضبه، لأن المتوكل كان يدرك منزلة الإمام عليه السلام عند الله تعالى، فخشي من وقوع العذاب الإلهي بسبب فعله معه، ويظهر أن أفراد عائلته وبعض رجال بلاطه كانوا يدركون هذه المنزلة أيضاً، ولا نستبعد أن المتوكل نفسه كان أحد مصادر معرفتهم بها، حاله في ذلك حال سلفه هارون الذي علم ابنه المأمون محبة ومنزلة الإمام الكاظم عليه السلام، لكن طمع الدنيا وحب الرئاسة جعلته يعادي الإمام إلى درجة سجنه مدة طويلة ثم أمره بقتله[1].

ومن الشواهد على إدراك عائلة المتوكل ورجال بلاطه لمنزلة الإمام الهادي عليه السلام الربانية، انه لما مرض وعجز الأطباء عن شفائه، نذرت أمه بإهداء مال كثير للإمام عليه السلام إذا شفي ولدها المتوكل من مرضه، وبالوقت نفسه عرض عليه الفتح

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٦٧-ص٣٦٨.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

بن خاقان الاستعانة بالإمام بقوله: «**لو بعثت إلى هذا الرجل ـ يعني أبا الحسن ـ فسألته، فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرج الله بها عنك**»[١].

لكن المتوكل وعلى الرغم من كل ما جرى له لم يتوقف عن تخويف الإمام عليه السلام، فأرسل قوة عسكرية داهمت منزله بحجة وجود الرجال والسلاح فيه استعداداً للثورة على دولته، فوجدوا فيه بعد تفتيشه كيس المال الذي أهدته إليه أم المتوكل، وفاءً لنذرها وهو على حاله ومن دون أن يفض عليه السلام خاتمه، فصادروه إلى جانب أشياء أخر من ممتلكات داره، وجاؤوا به للمتوكل، فسأل أمه عن مناسبة الإهداء، فأجابته: «**كنت نذرت في علتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار، فحملتها إليه، وهذا خاتمك على الكيس ما حركه**»[٢].

ويظهر أن الهدف من هذه المداهمات المتكررة لبيت الإمام عليه السلام هي بمثابة رسالة بأنه عليه السلام تحت رقابة المتوكل ورجاله، وهي في ذلك وسيلة من وسائل الخوف، ومحاربة نفسية في مسعى لتحجيم نشاط الإمام وإضعاف صموده، لعله يتسالم مع المتوكل ويرضخ لإرادة دولته، وبالوقت نفسه هو ردع لشيعته وأتباعه من ممارسة أي نشاط علمي أو ديني، وتخويفهم من القيام بثورة أو مجرد التفكير بها، إذ من غير المعقول أن يقوم الإمام عليه السلام في ظل هذه الرقابة الشديدة واعتماده للتقية بجمع الرجال والسلاح في بيته للقيام بحراك عسكري ضد المتوكل ودولته.

وكعادته في تغير أساليب تعامله مع الإمام، حاول المتوكل من جديد إغراء الإمام بالمال، فأرسل إلى سعيد الحاجب (ت بعد ٢٥٨هـ)[٣] وأعطاه كيساً ممتلئاً بالدنانير بالإضافة إلى كيس أمه، وقال له: (**أحمل ذلك إلى أبي الحسن واردد عليه السيف والكيس بما فيه**)، قال سعيد: (**فحملت ذلك إليه واستحيت منه، وقلت: يا سيدي عزّ علي دخول دارك بغير**

(١) ابن شهر اشوب، مناقب ال أبي طالب، ج٤، ص٤٥.

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح، ص٦٧٧-٦٧٨؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص١٠٧٣؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٧، ص٤٢٥؛ النجفي، موسوعة الإمام الهادي، ص٤٧٣.

(٣) كان سعيد من المقربين جداً من المتوكل، وأحد قادة جيشه الذي يعتمد عليهم، تولى قتل المستعين بعد أن استتب الأمر للمعتز، كما قادة الجيش ضد صاحب الزنج. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٤١.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

إذنك، ولكني مأمور به)، فتلا عليه الإمام قوله تعالى: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[١]»[٢].

إنّ قول سعيد: «**يا سيدي يعزّ علي**» يثبت خشية المتوكل من تأثير الإمام في رجال بلاطه وحاشيته، لذلك كان يكلفهم بتفتيش داره ليطعن بمكانة الإمام المتمكنة في قلوبهم، وليكون ذلك رادعاً لهم إن حاولوا أو فكروا بالتعاون معه، وإنّ تلاوة الإمام لقوله تعالى: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ فيه تحدٍ لحكم المتوكل، وتصريح بعدم شرعية حكمه، ووصف بأنه حكم الظالمين الذي سينال من قام ورضي به وتعاون معه العقاب الإلهي الشديد، وفي الوقت نفسه هو دعوة لسعيد بالابتعاد عن الظالمين وعدم التعاون معهم وتنفيذ أوامرهم، كردّ على قوله: «**ولكني مأمور**»، وهو بمثابة حكم شرعي يحرّم التعاون مع حكم المتوكل.

وأمام هذا تشدّد المتوكل في إحكام الرقابة على الإمام عليه السلام، فوضع حاجباً على باب داره ليكون دخوله وخروجه بعلمه، وهو ما بيّنه الصقر بن أبي دلف[٣] بقوله: «**لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن العسكري جئت أسأل عن خبره، فنظر الي الزرافي، وقد كان حاجباً للمتوكل فأمر أن أدخل إليه، فقال: يا صقر، ما شأنك؟ فقلت خيراً أيها الأستاذ. قال: أقعد. فأخذني ما تقدم وما تأخر، وقلت: أخطأت في المجيء**»[٤].

أكد هذا أن الرقابة على الإمام عليه السلام وصلت إلى حد فرض الإقامة شبه الإجبارية عليه، وإن من يزوره كان يُرهب من حاجب المتوكل ومساعديه، فكان هذا الحال مع الصقر الذي هو أحد رجال الدولة العباسية، فكيف إذا كان الحال مع شيعة الإمام وبسطاء الناس؟

على أن هذا الأسلوب كان مصيره الفشل كما هو حال أساليب المتوكل الأخر، إذ تأثر الحاجب بسلوك الإمام ومعتقده، وهو ما يتبين من حواره مع صقر، إذ قال له: (**ما شأنك وفيم جئت؟... لعلك تسأل عن خبر مولاك؟**)، فقال صقر خشية:

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٩٩-٢٠٠.

(٣) اسمه الصقر بن أبي دلف الكرخي، وكان أحد رواة الحديث في سامراء زمن الخليفة العباسي المتوكل ولم تسعفنا المصادر التي بين ايدينا بترجمة وافيه له. الصدوق، الخصال، ص٣٩٥.

(٤) الصدوق، معاني الأخبار، ص١٣٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٩٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

(ومن مولاي؟)، فقال الحاجب: «**اسكت، مولاك هو الحق، فلا تحتشمني فإني على مذهبك**»[١].

وأكد هذا على أن الإمام عليه السلام كان مستمراً في نشاطه بنشر فكر رسول الله وأئمة أهل بيته عليهم السلام على الرغم من المضايقات الكبيرة التي كان يتعرض لها والرقابة الشديدة التي فُرضت عليه، وكان عليه السلام يجيب على الأسئلة الموجهة إليه في مجال الإمامة ووجوب اتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام بصراحة ووضوح، ومن ذلك لما سأله الصقر: «**يا سيدي، حديث يروى عن النبي لا أعرف معناه**»، قال عليه السلام: «**ما هو**»، فقال صقر: «**لا تعادوا الأيام فتعاديكم**»، فقال عليه السلام: «**نعم، الأيام نحن وما قامت السموات والأرض، فالسبت اسم رسول الله، والأحد كناية عن أمير المؤمنين، والاثنين الحسن والحسين، والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا، والخميس ابني الحسن بن علي، والجمعة ابن ابني، وإليه تجمع عصابة الحق، وهو الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[٢].

وفي جوابه عليه السلام هذا أكد على وجوب اتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام بأسمائهم، وهو من ضمنهم، وأخبر عن ولده والإمام الثاني عشر وهو لم يولد بعد، وهو أمر غيبي، وحصر تفسير الحديث الشريف بهم دون سواهم، وبهذا فقد جدد نفيه لشرعية الحكم العباسي، وجعل تطبيق الدين الحنيف منحصراً بالاعتقاد بولايتهم، على الرغم مما كان يحيطه من الخطر العباسي، وهو ما صرح به في تتمة جوابه عليه السلام لصقر: «**فهذا معنى الأيام، فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة... ودع واخرج فلا آمن عليك**»[٣].

وقطعاً كان عليه السلام مدركاً للخطر المحدق به على وفق القانون الطبيعي للأسباب والمسببات، لكنه كان يدبر أموره وفق حكمة وتوجيه الهي تعينه بالقيام بمهمة الإمامة في بيان أحكام الله وشريعته للناس، وانه يعلم بما من الله تعالى عليه من الاطلاع على ماشاء عزّ وجلّ من غيبيه، ومنها وقت وساعة استشهاده، وهو ما

(١) الطبرسي، أعلام الورى، ج٢، ص٢٤٥؛ النجفي، موسوعة أهل البيت، ج١٢، ص٣٥٨.

(٢) الصدوق، معاني الأخبار، ص٣٣٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص١٩٥.

(٣) الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ص٣٦٥.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

بينه عليه السلام في حواره مع صقر، إذ قال له: «**يا صقر ما أتى بك؟**»، فقال صقر: «**سيدي جئت أتعرف خبرك**»، فقال عليه السلام: «**يا صقر لا عليك لن يصلوا الينا بسوء الان**»، فقال صقر: «**الحمد لله**»(١).

قطع هذا الحوار عن علم الإمام عليه السلام بمجريات الأمور المستقبلية، ومكائد المتوكل له، وفيه دلالة على أنه عليه السلام يسير وفق منهج مرسوم له بالهام إلهي لا يشوبه شك.

وعلى أثر فشل مساعي المتوكل المختلفة وأساليبه المتنوعة في كسب ود الإمام عليه السلام وجعله راضخاً لإرادته، قرر قتل الإمام عليه السلام، وأصبح يصنع الفرص لذلك، إذ انه قال للفتح بن خاقان ذات يوم: «**والله لأقتلن هذا المرائي... وهو يدعي الكذب ويطعن في دولتي**»، ثم أمره بـ: «**بأربعة من الخزر، فجيء بهم ودفع اليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن ويقبلوا عليه بأسيافهم فيطعنوه**»، والتفت إلى الفتح قائلاً له: «**والله لأحرقنه بعد القتل**»(٢).

وكشف هذا عن وصول المتوكل إلى درجة من الحقد والكراهية، إذ قرر قتل الإمام عليه السلام وهو يدرك تماماً منزلته الدينية والاجتماعية، ونعتقد ان وصوله إلى هذه الدرجة سببه الرئيس استمرار الإمام عليه السلام في نشر فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام ونجاحه في التأثير برجال بلاطه وكبار قادته، فأعد لذلك من الرجال والتجهيزات، ناوياً حرق جثته عليه السلام بعد قتله بأسياف من استأجرهم من الخزر لهذه المهمة، لكن الإرادة الإلهية كانت حاضرة دوماً في إفشال مخططاته حتى ما شاء الباري عزّ وجلّ، ففشلت كل خططه لقتله، واستمر عليه السلام بنشاطه حتى وافاه الأجل المحتوم في سنة (٢٥٤هـ)(٣).

(١) الطبرسي، أعلام الورى، ج٢، ص٢٤٥.

(٢) الأربلي، كشف الغمة، ص٩٠٣؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٧، ص٤٨٩؛ النجفي، موسوعة الإمام الهادي، ص٣١٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٨٤-٩٥.

الخاتمة

لقد أكد الإمام علي الهادي عليه السلام على إمامة أسلافه من الأئمة عليهم السلام، وأبرز الأدلة الغيبية التي تثبت ذلك، لإبعاد الشبهات التي ترد على شخص الإمام المعين، وقطع الطريق على المدّعين للإمامة، كما أكد عليه السلام على وجوب محبة أئمة أهل البيت عليهم السلام وإتباعهم، وحدد شخوصهم المنصوص عليها في القران الكريم والحديث النبوي الشريف.

وأمام التحرك الفاعل للإمام عليه السلام على صعد الحياة المختلفة العلمية منها والسياسية وغيرها والتفاف المؤمنين حوله واتساع رقعة المؤيدين له، استخدم الحكام العباسيين المعاصرين له ولاسيما الواثق والمتوكل سياسة أسلافهما حكام بني العباس المال والخوف معه عليه السلام، بهدف كسب مودته أو إجباره على تغيير خطابه، لكن الإمام عليه السلام برعاية الباري عزّ وجلّ والعلم الذي ورثه أبطل مشروعيّة دولة بني العباس، مفوتاً بذلك على حكامها تحقيق أهدافهم المنشودة، ومحققاً بالوقت نفسه اتساع رسوخ رسالته وإمامته عليه السلام في قلوب الناس.

وتأكد من سياق الأحداث التاريخية ان حكام بني العباس سعوا بكل قواهم إلى طمس أدلة الإمامة، وما تعلق بها على مستوى الفكر والعقيدة وشخوصها ومنهم الإمام الهادي عليه السلام باستخدام المال والخوف، فحجبوا الإمام عليه السلام عن الاتصال بشيعته بصورة خاصة ورجال بلاد الدولة والناس بصورة عامة، بهدف منع تأثيره عليه السلام في فكرهم وعقيدتهم التي تشكل خطراً على حكمهم، ولما يئسوا في إيقاف نشاط الإمام عليه السلام بما استخدموه من وسائل وسياسات قرروا تصفيته جسدياً بتهمة معارضة الحكم العباسي وجمع المال والسلاح للقيام بذلك، واستمرت محاولاتهم لقتله لكن إرادة الله تعالى كانت حاضرة في إفشالها، حتى شاء أن يقتل شهيداً في عهد المعتز بعد أن أدى الأمانة على أتم وجه، واستطاع ان يخلق وعياً مجتمعياً يمكن من خلاله تميز أفراده بين الحق والباطل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، ط٢، بيروت، ١٩٧٦م.

٢) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلوي (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية، د.م، د. ت.

٣) ابن العديم، مال الدين عمر بن أحمد (ت٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٨٨م.

٤) ابن حجر الهيثمي، شهاب الدين أحمد ابن حجر المكي (ت٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق مصطفى العدوي، المنصورة، ١٤٢٩م.

٥) ابن شهر أشوب، محمد بن علي (ت٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، قم، ١٤٢١هـ.

٦) ابن صباغ المالكي، علي بن محمد (ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم،١٤٢٢هـ.

٧) ابن عبد البر، يوسف النميري (ت٤٦٣هـ)، الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي عوض، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠م.

٨) ابن عساكر، أبو القاسم عمي بن هبة الله الشافعي (ت٥٧٠هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٤.

٩) الإربلي، علي بن عيسى (ت٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تقديم أحمد الحسيني، قم، ١٩٩٥م.

١٠) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٩.

١١) البحراني، هاشم (ت١١٠٧هـ)، مدينة المعاجز، تحقيق لجنة برئاسة الشيخ عبد الله الطهراني ميانجي، مؤسسة عارف الإسلامية، قم،١٤١٥هـ.

١٢) الحسيني، أبي جعفر محمد بن أمير الحاج، شرح الشافية أبي فراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العباس، تحقيق: صفاء الدين البصري، وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، ١٩٩٥.

١٣) الحلي، أبي منصور الحسن بن

يوسف بن المطهر الأسدي (ت٧٢٦هـ)، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق جواد القيومي، ط١، مؤسسة الفقاهة، د.م،١٤١٧هـ.

١٤) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

١٥) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد عثمان (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر بن عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

١٦) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد عثمان (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق ابراهيم الأبياري وطه حسين، مصر، ١٩٥٧م.

١٧) الراوندي، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، د.م، ١٩٨٩م.

١٨) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين(ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بغداد، ١٩٥٢.

١٩) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت٣٨١هـ)، الآمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، طهران،١٤١٧هـ.

٢٠) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت٣٨١هـ)، كمال الدين وإتمام النعمة، تحقيق هاشم الحسيني، قم، ١٣٩٨هـ.

٢١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت٣٨١هـ)، معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم، ١٣٦١هـ.

٢٢) الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، أعلام الورى بأعلام الهدى، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت٣١٠هـ)، دلائل الإمامة، مؤسسة البعثة، قم، ١٩٩٢.

٢٤) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الفهرست، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة الفقاهة، د.م، ١٤١٧هـ.

٢٥) الغروي، محمد هادي اليوسفي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مؤسسة أضواء الحوزة، بيروت، د.ت.

٢٦) الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، مطبعة نكارش، ط٢، قم، ٢٠١٠.

مجلة تراث شاهرة
العدد: الرابع
السنة: الثانية
١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

٢٧) الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٥.

٢٨) المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٩) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٥هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات دار الهجرة، قم، ١٩٨٤م.

٣٠) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٥هـ)، اثبات الوصية، ناشر انصاريان، قم، ١٩٦٥.

٣١) المطرفي، نجلاء، أحمد بن نصر الخزاعي وحركته في عهد الخليفة الواثق بالله، بحث منشور في المجلة العربية للنشر العلمي، جامعة أم القرى، السعودية، العدد١٢، ٢٠١٩.

٣٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، الإرشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ١٩٩٣.

٣٣) المقدسي، محمود بن سعيد، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الإسلامي، د. م، د. ت.

٣٤) النجفي، هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٥) النجفي، هادي، موسوعة الإمام الهادي، تحقيق السيد محمد الحسيني القزويني، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢٤هـ.

٣٦) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت بعد ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، ليدن، ١٨٦٠.